

فنانة مصرية تستعين بممثل «البانتومايم» لرصد أعماق البشر

رانده فخري: أبحث في رواسب الوعي الإنساني مستندة إلى الخيال والفلسفة



خيوط سري بين الظاهر والباطن



أعمال فنية فلسفية



شخصيات نزع أقنعتما

ليس الفن بمعزل عن الفكر والفلسفة، إنهما عالمان متكاملان بشكل كلي، على عكس ما يعتقد البعض من تناقضهما مستشهدا بالتناقض بين الخيال والمنطق، وهذا خطأ دارج، يكرر خطأ أفلاطون في طرد الشعراء من مدينته الفاضلة. إن الفن التشكيلي مثلاً والفلسفة يكمل بعضهما البعض، والكثير من اللوحات والأعمال الفنية تقوم أساساً على الفكرة الفلسفية المنتقاة والمجسدة بعمق وبصيرة إبداعية، بينما تعتمد الفلسفة الفن إما لفهم الظاهر وإما لتجسيدها وإما للكشف عن مفاهيم وعوالم جديدة. تكامل الفلسفة والفن التشكيلي هو ما تؤكد عليه الفنانة التشكيلية المصرية رانده فخري، التي كان لـ"العرب" هذا الحوار معها حول تجربتها الفنية ورؤيتها للمشهد التشكيلي في مصر.



محمد الحماصي
كاتب مصري

من الحيل والطرق المؤدية إلى الإمتاع البصري ما يمهّد الطريق لاستحداث رؤى فنية إبداعية من مصادر بسيطة مثل الخداع بالمنظور. إلا أن ذلك الإيهام البصري لم يكن هو الهدف المقصود، ولكنه نوع من استقارة ذهن المتلقي فيشترك اشتراكاً فعالاً وإيجابياً في عملية التذوق الفني للعمل، فمع الشكل ذي المغزى والدلالة المثيرة للانفعال الجمالي والوجداني والعلاقة الرمزية بين الدال والمدلول، وتالف الخطوط والألوان وعلاقات الأشكال بين الظاهر والمخفي، تبدأ محاولتي لإثارة الحس والذهن معاً من خلال الشكل والمضمون وصق التعبير.

أستعين أيضاً بالإيهام البصري المحقق في فن "البانتومايم" لإظهار الجوانب الخفية وإخفاء الظاهر من شخصيات البشر. أناس بعينهم أحاول التوغل في أعماق دواخلهم والتعبير عن حقائقهم، أما الظاهر والشكل الخارجي للجسد فقد اختفت ملامحه بينما الوجه قد اكتسب بقناع المهرج وغلف كلاً من الكفين قفازاً أبيض. اقتداء بممثل "البانتومايم" في لعبة التجلي والإخفاء وما بينهما من تساؤلات.

أحاول الاقتراب من أبعاد النفس البشرية واستكشاف علاقاتها المتشابهة بين الظاهر والباطن، ثم ترجمة تلك العلاقات فكراً وفنياً ووجدانياً من خلال ما يحويه "البانتومايم المعاصر" من تقارب في فكرة الظهور والإخفاء، وكذلك هيئة الفنان المؤدي وحركاته وإيماءاته السيميائية الدلالية، ثم استخدام الإيهام البصري لتحقيق الفكرة والرؤية المتبناة من خلال عدد من القيم التشكيلية مثل: الإغراء، إثارة العمق الفراغي، الإيحاء بالحركة الاستيتيكية، التأثير الدرامي.

وأقوم باستخدام تقنية "الديكوباج" مع الألوان الزيتية على توالي في معظم أعمالها لما يتمتع به "الديكوباج" من إثراء للسطح التصويري سواء كان من ناحية الملمس أو اللون أو كزخارف منتظمة وغير منتظمة يضيف تكرارها إيقاعاً وحركة تكتمل بها الرؤية.

شجعني أبي مبكراً على ممارسة الفن، منذ كنت طفلة حتى صرت شاعبة، فالتحقت بكلية الفنون الجميلة، ثم توفاه الله لأكمل المسيرة على يديه وعن ما اتفقنا عليه من مبادئ. أعتقد أن كل ذلك أثر بشكل مباشر على بلورة رؤيتي الفنية واختياري لعناصر أعمالها التي دائماً ما تكون علاقات خاصة جداً بين الإنسان والحيوان أو الطير لإيصال شعور ما خاص بشخصية بطل اللوحة أو ليبرز قيمة كبرى أو هدفاً سامياً.

ثم إن الدراسة الأكاديمية كان لها عظيم الأثر على تجربتي الفنية، علوم اللون وتعلم أسس التصميم والتكوين ودراسة تاريخ الفنون وتكنولوجيا فن التصوير والرسم والخامات، إلخ. كل ذلك كان له أثر واسع، كانت الدراسة على يد أساتذة من كبار أساتذة التصوير بكلية الفنون الجميلة في قسم التصوير، مع دراسة تاريخ الفنون وفلسفته في مراحل الماجستير والدكتوراه وما بعدهما بالتاكيد تبلورت الرؤية الفنية والفكرية والفلسفية في أعمالها خاصة فلسفات التخفي بين الباطن والظاهر للإنسان، وماهية الرمز ودلالاته والأبعاد التعبيرية ودلالات اللون وحركة الخط.

الظاهر والباطن

العرب: تبحث لوحاتك عن كل ما هو جواني في علاقة الإنسان، سواء كان امرأة أو رجلاً مع ذاته أو مع الطبيعة والحياة، كيف يتجلن ذلك؟

رانده فخري: أستعين في عمالي بفلسفات الإيهام البصري أي إثارة العقل بالكثير

إلا حالة تعويضية ومحاولة للخروج من مازق فقدان شيء ما، شخصيات متناقضة الأعمار خصلت شعراً دائرية "كتلة" مقلقة بالهجوم تعبر عن صبر ومعاناة، شخصيات ترددي أقتعة متلاصقة متلاحمة منسوجة بلامعها، يصعب نزع القناع حتى وإن رحلت الشخصيات، أقتعة خداع من أجل الإختباء والاحتماء والإستمرار، عين دامعة باكياً ضاحكة، مندحشة من مجهول ومن معلوم، وتكمل الشخصيات غموضها بمحور آخر هو ارتداء "قفاز أبيض" قفاز فنان البانتومايم، كل هذه الشخصيات بانفعالاتها وتأثيراتها تبدو في علاقة مترابطة ومتشابهة بينها وبين عناصر حية: حيوانات، أليفة، القط، الكلب، العصافير، السلحفاة وعناصر أخرى، وإن اختلفت الكائنات في صفاتها إلا أنها بصفاتها ونقائنها يمكن اعتبارها العناصر الوحيدة في عالمنا التي لا تزال تحتفظ ببراعتها.

التشكيل في مصر

العرب: كيف ترين الساحة التشكيلية المصرية اليوم؟

رانده فخري: الساحة التشكيلية المصرية الآن في حالة فناء كبير وتنوع وحرية في الاتجاهات والأساليب والرؤى الفنية والفكرية التي يتجه الكثير منها إلى الفنون المعاصرة بكل اتجاهاتها الحديثة. وإن هناك تأثيراً متبادلاً بين واقع الفنان وواقع بلاده وأهله واتجاهاته الفنية في أعماله.

ففي آخر ثورة مصرية اتجه الكثير من الفنانين إلى التعبير عن آرائهم والأهم وثورتهم الداخلية في الكثير من المعارض الفنية القوية التي عدت حينها ثورة خاصة. وكذلك الكثير من فنانينا مصر يعبرون عن الأمل ومعاناة وأحلام وأمال وتطلعات المصريين باختلاف اتجاهاتهم وانتماءاتهم وأيديولوجياتهم.

إن المشهد التشكيلي المصري في حالة نشاط وتوجه كبيرين، قاعات فنية جديدة تفتتح، ومسارقات وصالونات للفن التشكيلي تزداد المشاركات فيها وتشجيعها لكل الأجيال خاصة الأجيال الشابة. وبدوره المنقذ المصري يتابع كل تلك الممارسات بشغف ومتعة.

أما الحركة النقدية التشكيلية فهي فاعلة إذ لدينا العديد من النقاد المخضرمين ممن نحترم آراءهم النقدية لما فيها من إثراء لمسار الفنان في تجربته الفنية، من خلال تحليل مقوماته وفلسفته واتجاهه الفني. وهناك أيضاً جيل جديد من النقاد الواعين الدارسين على دراية كبيرة لسبل النقد ويتابعون عن كثب كل المعارض والمسارقات الفنية ويتحاورون ويكتبون ونشر آراؤهم النقدية بوسائل إعلامية كثيرة مطبوعة وإلكترونية.

التصويرية للأعمال، بينما استبدلت فضاء المسرح الأسود بقضاء اللوحات الثري وبالزخارف الهندسية أو الزهور، ليختفي ويتوارى بين جنباتها أبطال الأعمال فلا يظهر من أجسادهم غالباً إلا الوجه المظلي بالمساحيق والكفين بقفازيهما البيضاء.

الاستعانة بالفلسفة

العرب: ما هي علاقة أعمالك بالفلسفة؟

رانده فخري: في جل عمالي أبحث في ما يرسم في وعي وإدراك الإنسان من خلال العديد من التجارب الحياتية مستندة إلى الخيال الواعي. تلك المساحة التي تسكن فيها قضية العمل الفني، مستعينة بمنهج فلسفي معاصر ذي طابع تساؤلي مفتوح ومرن، وهو أحد مناهج البحث الفلسفي "الفينومينولوجيا" (Phenomenology) للفيلسوف إدمون هوسرل (1859 - 1938)، منهج يستبعد وصف الظواهر أو المواقف أو الأشياء أو العناصر في ذاتها، ويقتصر في البحث على الأشياء كما تحددت وتكونت في "الوعي الإنساني"، وكما يفترض المنهج بأن هناك أشياء في الوعي، ينتج عنها وعي بالأشياء، وأن الوعي لا وجود له خالياً بل يكون متعلقاً دائماً وأبداً بموضوع معين، وأن العمل الفني ليس ثمرة قدرة الفنان على وصف الأشياء على ما هي عليه، بل هو ثمرة قدرته على إدراكها وخلق تصورات جديدة لها.

هو منهج فلسفي ويصلح للتجريب الفني لدراسة ما ترسب في الوعي الإنساني من مواقف فعلية، ومن مواقف تترتب عن قدرة إدراك الإنسان، وهذا ما يسمى مخزون أفعال الوعي، كما يسميها هوسرل إنها "فينومينولوجيا للوعي" باعتبار إن الوعي نشاط سيكولوجي وحس داخلي، إذ يمنحنا الوعي "معطيات الحس" (Sense Data) وتنتج عنها العديد من الأفكار يستفيد منها كل منجلي الإبداع الفني.

انطلاقاً من هذا المبحث الفلسفي أحرص على طرح تكوينات مركبة تكشف عن ما يسكن في "السرديات النفسية للإنسان" الذي يتكون من "الوعي" وأفعال الوعي، وهو متاح للاقتراض منه، إنها قروض إبداعية، فالأعمال تمثل الحكايات كجزء من رصيد تراكمي حفظ في أدرج سراديب الوعي، حكايات تسرد في تكوينات تمثل لقاء غرائبي بين شخصيات يصعب تحديدها أحياناً أم شهداء أحياناً من أجل البقاء، شخصيات تبدو ملائكية السمات، تبوح بقديسية المضمون والمخالبة والطاقة والشحنة الانفعالية المستمرة المستقرة.

وإن كانت الملامح تشريحيًا تعبر عن حالات بين الفرح والحزن، إلا أنها ليست